

## مربع المكان

## مقال فلسفي (2)

للدكتور حامد طاهر

حتى لو كان لصديقي عمرو المشاوي فيللا في الساحل الشمالي، إلى جانب فيلته في الرحاب، وشقة العائلة التي آلت إليه بالميراث في حى المنيل، وهو يفضل أن يقضى أجازته مرة في لندن، ومرة في تركيا — فإن (المكان) الذي يحيط به لا يخرج أبدا عن أربع جهات هي: الشمال والجنوب والشرق والغرب. ومعنى هذا بكل بساطة أن صاحبنا يتحرك في مربع، قد يضيق أو يتسع، لكنه محدود المسافة والأبعاد، ومهما حاول الخروج منه أو التمرد عليه لن يتمكن أبدا من تحقيق محاولته. والدليل على ذلك أنه لا يستطيع أن يذهب إلى أى مكان مما سبق ذكره إلا بعد عقد النية والعزم، ثم اتخاذ إجراءات السفر، ومنها توضيب الحقيبة، وتجهيز البسبور، إذا كان السفر للخارج، والمتأكد من صلاحية الفيزا كارد، وملء خزان السيارة بالوقود، وإعلام المقربين من الأقارب والأصدقاء بوجهته حتى يتمكنوا من التواصل معه. وهكذا لا يستطيع الأستاند عمرو أن يخرج خارج الإطار الذي يتحرك فيه، ولما أن يتخلص من الخيوط التي تشده إليه.

وفى القرآن الكريم وصية هامة للإنسان، حيث يقول الله تعالى له (إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [سورة الإسراء، آية 37]، وهذا معناه أنه مهما طاف وتجول في أنحاء الأرض لن يستطيع أن يستوعبها كلها، وذلك بسبب محدودية قدراته من ناحية، ونظرا لاتساع خلق الله وملكوته من الناحية الأخرى.

لكن ماذا نعمل أمام طموح الإنسان الى يبدو أنه لا حدود لآفاقه ، أو الذى لا يقبل أن يكون له حدود( ألم يأكل أبونا آدم من الشجرة الوحيدة التى نهاه الله عنها، بينما كانت كل أشجار الجنة متاحة له ! ) ومنذ قديم الأزمان ، والإنسان يسعى للخروج من حدود المكان الذى يوجد فيه ، إما بالمهجرة على قدميه ، أو باختراع وسائل انتقال متعددة ، بدءا من السفينة والمقطار ، حتى الطائرة والصاروخ ، فماذا حدث ؟ لقد وجد الإنسان نفسه ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، حتى لو كان خارج الغلاف الجوى للكرة الأرضية التى خلقها الله ليعيش ويموت عليها ، ثم يبعث يوم القيامة منها .

وقد حاول الصوفية المسلمون شيئا من ذلك ، حين جعلوا من بين كراماتهم: تواجد (الشخص — المولى) نفسه فى مكانين مختلفين فى وقت واحد ! ومن ذلك مثلا رؤية الناس له فى قريته بالأندلس ، ومشاهدة الحجيج له يطوف حول الكعبة فى مكة . وهذا يعنى أنه من خلال الكرامة التى أعطيت له استطاع أن يعبر آلاف الكيلومترات ، دون استخدام أى وسيلة مواصلات . وسواء صدقت هذه الكرامة أم لم تصدقها ، فإنها تعبر عن شوق أو رغبة إنسانية لتجاوز المسافات ، والتغلب على معوقات المكان .

ولعل أبرز صورة تنمحي فيها المسافات ، وتسقط أسوار المكان هى التى تكون فى الحلم الذى يراه الإنسان أثناء النوم . وذلك حين ينتقل الشخص من مكان إلى مكان بعيد جدا فى طرفة عين ، أو حين يلتقى بأشخاص يعيشون فى طرف الكرة الأرضية ، دون أن ينتقل إليهم ، أو يأتوا هم إليه . وهكذا يقوم الخيال أثناء النوم بما لا يقدر على الإتيان به كل من الجسد أو العقل فى حال اليقظة : وهو الانفلات من جدران الجهات الأربع للمكان التى تحصر الإنسان فى موضعه .

لقد سبق أن كتبت مقالا مختصرا عن (مثلث الزمن) : الماضى والحاضر والمستقبل . وهذا المقال عن (مربع المكان) هو الذى يكمل المقال الأول ، لأنهما معا (المثلث والمربع) يشكلان الإطار الذى يتحرك فيه الإنسان ، ولما يستطيع الفكك منه ، سواء أدرك ذلك أم لم يدركه .